

العنف الرمزي ضد المرأة في الامثال الشعبية الجزائرية "دراسة محتوى البعض من الامثال الشعبية الجزائرية"

Symbolic violence against women in Algerian folk proverbs

"Studying the content of some of the Algerian folk proverbs"

عماريش حنان^{1*}

تاريخ القبول 2018/10/15

تاريخ تقديم البحث 2018/04/19

Abstract

In spite of the development and progress achieved by women in recent times, but they are not free from the negative stereotypical view in the popular proverbs, which is one of the most popular folklore, where it works to entrench inferiority and to be considered a minor creature in words and words. From this man, we ask the following question: What are the indications of symbolic violence against women in the Algerian popular proverbs?

ملخص

على الرغم من التطور والرفق الذي حظيت به المرأة في الآونة الأخيرة، لكنها لم تتحرر من النظرة النمطية السلبية في الامثال الشعبية التي تعتبر من أهم المأثورات الشعبية، حيث تعمل على الترسخ من دونيتها واعتبارها مخلوق قاصر بعبارات والفاظ تجريحيه وغالبا ما تستمد المرأة في الامثال الشعبية وجودها من الرجل، ومن خلال هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي: ما هي دلالات العنف الرمزي ضد المرأة في الامثال الشعبية الجزائرية؟

Keywords: violence; symbolic violence; women; ideals; popular proverbs

الكلمات الدالة: العنف؛ العنف الرمزي؛ المرأة؛ المثل؛ الامثال الشعبية.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات ، جامعة البليدة 2 الجزائر

مقدمة

تعتبر الثقافة الشعبية مجموعة العناصر المشكلة لثقافة المجتمع وهي وحدة كلية ومتكاملة وعملية مستمرة تتجلى في العديد من المظاهر كاللباس، العمران، العادات، التقاليد، الأغاني الشعبية ونجد الامثال الشعبية تحتل جزءا كبيرا من الذاكرة الشعبية على اعتبار أنها من الأشكال التعبيرية الأكثر شيوعا وتداولاً ذلك لسهولة لفظها وغزارة معناها.

يعتبر المثل الشعبي من بين أهم المأثورات الشعبية ثراء وانتشارا والأكثر تداولاً في الخطاب اليومي حيث انها تجد انتشارا وذبوعا في مختلف طبقات المجتمع، فلا يمكننا ان نغفل عن دوره في عملية الغرس الثقافي والتنشئة الاجتماعية اذ انه يقوم بدور تعليمي عن طريق نقل الخبرات وتوارثها من السلف الى الخلف.

الأمثال تعبير عن ديناميكية المجتمع وخصائصه، فهي تحمل في طياتها دلالات اجتماعية وثقافية تبرز مظاهر الحياة العامة السائدة في المجتمع ولقد تنوعت وتعددت مجالاتها لتشمل الاسرة، العمل، الجيران، الصداقة... الخ

وكان للمرأة هي الأخرى الجزء الأكبر من الذكر فيها فلقد تنوعت وتوزعت مجالات فيها بتنوع الأدوار التي تشغلها (أم، زوجة، أخت، عاملة... الخ) وان كان مضمون المثل في القليل من المرات يوحى بمعاني ودلالات إيجابية ويعزز من مكانتها وبقيمتها الاجتماعية، الا أنه بالمقابل حمل في طياته الكثير من الدلالات والرموز اللفظية العنيفة التي ترسخ من دونيتها فبالنظر الى خطاب الامثال الشعبية نجده خطاب ذكوري بالدرجة الأولى حيث يعلي من مكانة الرجل، لكن بالنسبة للمرأة ينتقص من مكانتها ويرسخ من دونيتها، وهذه الصورة الموروثة عن المرأة تنتقل من جيل لآخر عن طريق التنشئة الاجتماعية والتي يمكن ان تجسد الثقافة السائدة في المجتمعات التقليدية الذكورية التي ينشأ عليها الافراد ويتعلمونها لتصبح جزءا من شخصيتهم وثقافتهم في التعامل معها "الا ان القراءة الاجتماعية المتأنية للمجتمعات العربية بصفة عامة تؤكد على ان قيم الذكورة تحتل قمة هرم منظومة القيم الموجهة للبناء الاجتماعي بأنساقه ونظمه وظواهره هذا من جانب، ومن جانب اخر فان قيم الذكورة في المجتمع العربي تمثل موروثا ثقافيا كافيا داخل نسيج البناء الاجتماعي تتجسد صوره واشكاله في أساليب التنشئة الاجتماعية التي تكسبها الاسرة لأطفالها ليس منذ لحظة الميلاد بل من اللحظة التي يحدث فيها الحمل"¹

من هنا جاءت دراستنا الحالية "العنف الرمزي ضد المرأة في المعتقد الشعبي الامثال الشعبية الجزائرية نموذجاً" طارحين التساؤل الآتي: كيف تعمل الامثال الشعبية الجزائرية على الترسخ من دونية المرأة؟ وكيف ترجمت الامثال الشعبية العنف الرمزي ضد المرأة؟

1تحديد المفاهيم:

1. **العنفالرمزي:** وهذا المفهوم مركب يتكون من مفهومين أساسيين هما العنف والرمز وستنطلق لكل منهما كالآتي:

1-1.العنف:

المعنى اللغوي للعنف:كلمة عنف في اللغة العربية من الجذر(ع-ن-ف)، وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهوالعنيف اذ لم يكن رقيقاً بأمره، وعنّف به، وعليه عنفاً، وعنافة: اخذه بشدة وقسوة، ولامه وعيره، واعتنف الامر اخذه بعنف، واتاه ولم يكن على علم ودراية به، واعتنف الطعام والأرض: كرههما واعتنف الأرض نفسها نبت عليه² وقد جاء في المنجد المعتمد تعريفه كالآتي:

عنف:عنافة وعنفا بفلان وعليه لم يرفق به والشيء: كان شديداً.

عنف: عنف فلانا: لامه ووبخه بالتقريع، وعنفه: اخذه بشدة ولم يرفق به، فهو

عنيف جمع عنف³

1-2-2-1 **اما اصطلاحاً:**حيث عرفه قاموس العلوم الإنسانية بانه: "فعل خشن (فظ)

يهدف الى ضغط وارغام الاخرين كما يعرفه على انه الايذاء باليد واللسان، بالفعل أو الكلمة وهو التصادم مع الاخرين⁴

ولقد عرفه لورنس بانه: "مجموعة الاعمال التي ينتج منها او يمكن ان ينتج عنها التسبب في اذى كبير للحياة او لشروطها المادية، ومن ذلك ندرك أي أذى بيولوجي ينتجه او ضغوط جسدية شديدة او تخريب للممتلكات او الأم نفسية تترتب عن حدوثه⁵" ويعرفه احمد زكي بدوي: "استخدام الضبط او القوة استخداما غير مشروع او غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فردها"⁶

فالعنف من خلال التعريفات السابق ذكرها ممارسة تشتمل العديد من الاشكال

منه ما هو مادي ومنه ما هو معنوي يحمل طابع الرمزية.

2-1-الرمز:

جاء في لسان العرب لابن منظور ان الرمز هو "تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير ابانة بالصوت، انما هو إشارة بالشفيتين وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفيتين والفم"⁷ ولقد عرفه انتوني: "أي إشارة التي تمثل معنى أو شيئاً آخر والكلمات التي نستعملها للإشارة الى أمور محددة هي في واقع الامر رموزا تمثل المعاني التي نقصدها"⁸ إذا نعتبر الرمز من المعاني الدالة على منظومة من الإشارات الجسدية والفيزيائية الدالة على معاني ودلالات محددة حيث يمكننا القول ان العنف الرمزي شكل من اشكال العنف إشارات وإيماءات مضمرة.

العنف الرمزي: كما عرفه بيير بورديو هو: "عنف هادئ لا مرئي ولا محسوس حتى بالنسبة الى ضحاياه، ويتمثل في ان تشترك الضحية وجلادها في التصورات نفسها عن العالم والمقولات التصنيفية نفسها ويعتبرا معا بنى الهيمنة المسلمات والثوابت"⁹ "ويعتبر هذا النوع من العنف من اخطر أنواع العنف فهو غير محسوس ولا اثر واضح له للعيان، فهو شائع في جميع المجتمعات غنية او فقيرة متقدمة او نامية، وله اثار مدمرة على الصحة النفسية للمرأة وتكمن خطورته بأن القانون لايعترف به كما هو ويصعب إثباته"¹⁰ وهذا النوع من العنف يسميه علماء النفس **بالعنف التسلطي**، وذلك لقدرة الفرد الذي هو مصدر العنف على استخدام طرق رمزية، من شئها الحاق الأذى بالاتزان النفسي والجسدي لشخص ما من خلال التعبير بطرق غير لفظية كاحتقار الاخرين او توجيه الإهانة لهم كالامتناع عن النظر وتجاهل شخص معين يكن له العدا "تحت باب العنف المعنوي يندرج ما يسمى بالعنف الرمزي الذي يقتصر على الازدراء واستخدام وسائل يراد بها طمس شخصية الضحية واضعاف قدرتها الجسدية او العقلية ويتضمن محور العنف النفسي أيضا الضغوط المستمرة عليها، التهديد والإحباط وإدخالها في القلق الدائم"¹¹

2-الثقافة الشعبية: تعتبر الثقافة الشعبية كصفة او تحديد لنوع الثقافة وهي كل

مايشمل المأثورات والتراث، لا بد من تقسيم المصطلح الذي يحوي شقين:

2-1-الثقافة: ان أول ما يميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية ان له

ثقافة"فالحيوان يتعلم من التجارب المباشرة فقط، اما الانسان فيتعلم مما مر به بنوا البشر عبر الاف او ملايين السنين ومن خلال مقدرة الانسان الكبيرة على التعلم ومقدرته على

استعمال الرموز، أصبح لدى الانسان ثقافة يستعين بها على البقاء، كما يستعين الحيوان على البقاء بأساليب السلوك الغريزية..."¹².

يعرف الانثروبولوجي فرانس بواز الثقافة عل انها:"الثقافة تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية لجماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات"¹³

ويرى مالك بن نبي ان الثقافة لا تضم الأفكار فحسب، بل وتضم كذلك أساليب الحياة في مجتمع معين وكذلك السلوك الاجتماعي للفرد، فهي كما عرفها في كتابه مشكلة الثقافة: "هي مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لأشعوريا تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"¹⁴. ونجد من أشهر التعريفات التي حظي بها مفهوم الثقافة كونه الأكثر شمولية وانتشارا في مجال الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية هو تعريف العالم الانثروبولوجي ادوارد تايلور 1871: "الثقافة ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع"¹⁵.

2-2- الشعبية: هي صفة عن كل ما يصدر من الشعب قولاً، وممارسة، سلوكاً وتصوراً للحياة وللأشياء وهي صفة مشتقة من مصطلح الشعب الذي عرف كلاتي "الشعب هم مجموعة من الافراد والاقوام اللذين يعيشون في إطار موحد من الثقافة والعادات ويوحدتهم المجتمع والإطار الجغرافي وهو أيضا ترجمة لكلمة المانية وهي تشير الى المجتمع الذي يترابط افراده فيما بينهم ترابطاً عضويًا ويتمسكون بتراثهم. اما إذا استخدم المصطلح لإعطاء صفة لشيء معين فكثيرا ما يشير الى عامة من الناس من ذوي المعرفة الساذجة البسيطة"¹⁶

يعرف مرسي الصباغ مفهوم الشعبية بقوله: "نجد اول معاني الشعبية تكون في الانتشار، وبما ان الشعوب تمتد في تاريخها الى جذور عميقة متناهية في القدم، لذا فان معنى الثاني للشعبية يكون في الخلود وعليه فإن كلمة الشعبية عندما نطلقها على أي شيء لا بد ان يتسم هذا الشيء بالانتشار والتوزع والتباعد المكاني والزمني، أو بمصطلح اخر "التداول والتراثية"¹⁷

الثقافة الشعبية: "مجموع العناصر الثقافية التي تصدر عن الشعب وتمثل حصيلة معارفه وخبراته ومهارته في مرحلة تاريخية معينة، واكدت الدراسات الإنسانية الحديثة ان الثقافة الشعبية تسير نموها العقل والفكر والسلوك البشري، تتسم بالأصالة وبالتالي فهي

خزان التراث والحافظ له وهي من أهم عوامل التكامل المحلي والوطني، في ابرازها لخصوصية المجتمع وهويته¹⁸

ونجد ان مصطلح الفولكلور هو الأكثر شيوعا في الدراسات الاكاديمية يتكون مصطلح الفولكلور من لفظين فولك أي عامة الناس او الشعب و لور: أي المعرفة او الحكمة لتصبح الترجمة: حكمة الشعب او معرفة الشعب. ويعد الإنجليزي جيمس توماس اول من استنبط الكلمة سنة 1846 للدلالة على التقاليد والعادات والمعتقدات للطبقات الغير مثقفة ليتسع معناها فتشمل الفنون والصناعات الشعبية، ويتسع أكثر مع عالم الانثروبولوجيا ادوارد تايلور وجيمس فريزر فتشمل طوابع الثقافة البدائية التي تصور وتوضح الخرافات والعادات والتقاليد التي انتشرت الكثير من الدراسات حولها.

وتعددت تسميات واختلف الباحثون في تحديد موضوعاته الفرعية التفصيلية التي تندرج تحته. ولكن يمكن ان نقول انه يسمى أحيانا الادب الشعبي او الادب الشفاهي او الفن اللفظي او الادب التعبيري.

3. المثل الشعبي:

3-1-المثل:

لغة: جاء تعريف المثل لإبن منظور في قوله: "المثل كلمة تسوية، يقال هذا مثله ومثله، كما يقال شبه وشبهه"¹⁹

ويقول بعض العلماء ان كلمة "مثل" مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء ومثله، كما تقول شبه وشبهه، لأن الأصل في التشبيه، ثم جعلت كالحكمة سائرة مثلا، ويرى غيرهم ان الكلمة مأخوذة من العبرة وفيها كلمة "مثل" تدل على معنى أوسع منه فهم يطلقونها على الحكمة السائرة والحكاية القصيرة ذات مغزى وعلى الاساطير²⁰

ويعرفه أيضا ابن السكيت "المثل لفظ المضروب له، ويوافق معناه معن ذلك اللفظ، شبهوه بالمثل الذي يدل عليه غيره"²¹

ولقد ورد مفهوم المثل في القران الكريم بمعنى الشبه والذكر والعبرة وهذا في قوله عز وجل:

المثل: "...ممثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم..."²² وهنا لفظ المثل يدل على الحال.

ويكون المثل بمعنى العبرة نحو قوله عز وجل: "فجعلناهم سلفا ومثالا للآخرين"²³

ويرد المثل أيضا بمعنى المشابهة: "وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"²⁴

ووردت في مواقف أخرى في القرآن الكريم لدلالة على صفة معينة "...مثل الجنة التي وعد المتقون..."²⁵ وفي قوله تعالى: "...ذلك مثلهم في التوراة وفي الانجيل..."²⁶.

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قول في شيء آخر، بينهما مشابهة لبيئاً أحدهما الآخر ويصوره، وجميع معاني الواردة للمثل ترد في معنى المشابهة على نحو ما.

أما اصطلاحاً: نجد في الاصطلاح الأدبي عرف المثل في مجمع الأمثال للميداني على أنه: "المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه فقولهم مثل بين يديه إذ انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة، وفلان أمثل من فلان أي أشبه بما له الفضل، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول قال كعب بن زهير²⁷:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً --- وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد.

ويعرفه عبد المجيد قطماش بقوله: "والمثل قول موجز سائر، صائب المعنى، تشبه به

حالة حادثة بحالة سألته"²⁸

ولقد عرفه الفارابي على أنه: "ما ترضاه الخاصة والعامة في لفضه، ومعناه حتى ابتدلوه فيها بينهم فاهبوا به في السراء والضراء واستدروا به في الممتع من الدار، ووصلوا به في مطالب القضية وتخرجوا به الكرب والكربة، وهو ابلغ الحكمة"²⁹.

وعند إبراهيم النظام عرفه بذكر خصائصه كالاتي: "يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة. قال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وانقى للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"³⁰. فالمثل يتوفر على خصائص تميزه عن الكلام العامي.

2-2- المثل الشعبي: تعتبر الأمثال الشعبية عنصراً هاماً في بنية الثقافة الشعبية فيمكن من خلالها فهم سلوك الأفراد والتعرف على الهوية الثقافية للمجتمع ولطريقة تفكير أفرادها، ذلك بما تحويه من أفكار وتصورات حفظتها الذاكرة الشعبية وتناقلتها الأجيال لاعتبارها سهلة الحفظ وسريعة النفاذ للعقول والنفوس في جمل قصيرة تحوي دلالات ومعاني عميقة.

عرفها فريد بريك زايلر: "هي القول الجاري على السنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة"³¹

ويعرف احمد امين المثل الشعبي على انه "نوع من أنواع الادب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى، ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه امة من الأمم وميزة الامثال انها تنبع من كل طبقات المجتمع"³²

وعرفت كذلك على انها: "هي عبارات قصيرة ترسلها البيئة الشعبية التي انبعثت عنها وتدور على السنتها دون ان تبدل نصها أو تحرفه وهي غالبا ما تكون مرتبطة بحادثة أو بقصة مؤثرة فيخرج المثل ليلم بالحادثة في كلمات قصيرة يسهل حفظها وتداولها بين الناس"³³

4-أنواع الامثال الشعبية:حسب رأيالدكتور رابح العربي هو على نوعين المثل السائر والمثل الفرضي او الخرافي بالإضافة الى المثل القياسي:

4-1-المثل الموجز:وهو القول السائرالموجز، الذي يشتمل على معنى صائب "ان المثل السائر يراد فيه معنى وراء معنى اخر، وذلك من خلال مشبه به ومشبه، ومعنى هذا يحصل عن معنى ذلك، أيا كان التشبيه وأيا كانت طريقتة"³⁴ فهو قول محكي سائر او جملة مقتطعة من الكلام وهي تنتقل ممن وردت فيه الى ما يحاكيه في معنى من المعاني وهو ما يهمننا في دراستنا هاته.

4-2-المثل الفرضي أو الخرافي: كالحكايات المثلية في كتاب كلية ودمنة لابن المقفع.

4-3-المثل القياسي:هذا النوع من الامثال كاد يكون معدوما في الامثال العربية، ولكننا نجده بكثرة في القران الكريم وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسج الحكماء أمثال قياسية من القران والسنة.

5-نشأة المثل الشعبي: يرى الألماني فريديريك زايلرأن المثل الشعبي أبدعه الفرد "ان المثل قد نطق به فرد في زمن معين، وفي مكان ما فاذا مس المثل حس المستمع له، فهو حين اذ ينتشر بينهم، وكأنه عبارة ذات اجنحة"³⁵

المثل الشعبي نابع من البيئة الاجتماعية والثقافية للفرد فحسب فريديريك زايلران كل من الفرد والجماعة مساهمان في انتاج المثل الشعبي "لا شك ان أمثال أي امة من الأمم نابعة من بيئتها الاجتماعية والجغرافية ومن محيطها الفكري والديني ومستمدة من واقع تجاربها في الحياة اليومية، ومن أحداث وقعت لأفرادها وجماعاتها في تاريخها المديد وخلفت ابعده الأثر وابقاه فينفوسهم وعقولهم، والانسان قديم العهد بالأمثال والحكم الشعبية قدم تجربته على هذه الأرض، ولا نستطيع الجزم بتاريخ نشأة الامثال عنده لكن لما كانت الامثال وليدة تجارب الناس في تعاملهم مع بعضهم البعض، فمن المحقق انها بدأت تظهر بعد تكون

المجتمعات البشرية الأولى، وانها شأن الشعر والخطابة كانت تروي رواية قبل جمعها وتدوينها³⁶.

من الصعب البحث عن أصل الامثال الشعبية او نشأتها، لأنه لا يصير مثلا الا بعد ان يسير وينتشر بين افراد الشعب، وهذا لا يكون الا بعد فترة زمنية، بالإضافة الى ان الناس لا تهتم بمعرفة قائل المثل، بالقدر الذي يعبر عن موقف معين او ما يجول في خاطرهم.

6-وظائف الامثال الشعبية: للامثال الشعبية العديد من الوظائف التي تختلف باختلاف معانيها وما ترمي اليه ذلك لامتيازها بالذيق والانتشار فضلا على ان الذاكرة تحفظه وتستحضره بسهولة في مواقف معينة ومن أهم وظائفها كالآتي:

6-1-الوظيفة التعليمية:تلعب الامثال الشعبية دورا هاما في عملية التعلم، من خلال نقلها لتجارب الاخرين وخبراتهم من الأجيال السابقة الى اللاحقة لذلك تؤثر مباشرة في سلوك الانسان عن طريق اكسابه مجموعة من المعارف وقواعد السلوك العامة "الامثال باب من أبواب القول هي في الوقت نفسه ميدان من ميادين التربية فهناك التربية بالقدوة والتربية بالقصة والتربية بضرب الامثال"³⁷. بالتعليم يكتسب الفرد الخبرات والسلوكيات والتوجهات والعادات فلها دور كبير في اكتساب الخبرة نذكر منها "الي فاتك بليلة فاتك بحيلة"، "اسال المجرى وما تسألش الطبيب"، وفي مواقف أخرى تنقل نصائح وتحذيرات "دير الراي الي بيكيك وما ديرش الراي الي يضحكك".

6-2-الوظيفة الأخلاقية والدينية: نجد العديد من السلوكيات الحسنة والاخلاق الفاضلة تناولتها الامثال الشعبية من أجل الاتعاظ منها والاستفادة منها "تعكس الامثال الشعبية ملامح العلاقات الاجتماعية للمجتمع الذي تخرج من رحمه، لهذا تزخر بنظام أخلاقي، يغطي مساحة واسعة من قيم العدل، والكرم، والصدق والصبر...الخ، كما أنها تدم الكذب والنفاق، واللامبالاة، والكسل...الخ، وتحاول تثبيت هذه المفاهيم في اذهان الناس في صياغة لغوية مكثفة، وصور معبرة، وموسيقا مؤثرة، تجعلها مستساغة وعذبة السمع ويسهل حفظها وتنقلها بين افراد المجتمع، لتكون لهم هديا الى النمط السلوكي الإنساني الفاعل في الحياة"³⁸ كالحث على الصبر نحو قولهم "الصابرينال" فهذا المثل يقال من باب المواساة والصبر بقضاء الله وقدره فبالصبر ينال مراده واجره العظيم من الله، ونجد العديد من النصوص القرآنية التي شجعت على الصبر وذكرت جزاء الصابرين كقوله تعالى "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"³⁹ والصدق حيث انها من الصفات التي يتصف بها الانسان المؤمن ذو الاخلاق الفاضلة كقولهم: "قول الصح لو كان راسك ينتج" فالصدق في القول والفعل واجب

حتى لو كان الثمن ان تدفع حياتك، و"اخرج لربي عريان يكسيك" فان تصدق في نيتك للخالق وتبتعد عن الزور والنفاق دونما خوف من المخلوق سيثبتك الله وستجزى حسنا نظير ذلك. بالإضافة الى أمن الامثال تدعو الى الخير وفعله وهذا يتجلى في المثل القائل: "دير الخير وانسأه ودير الشر وتفكرو" فهي تحث على فعل الخير دون مقابل خالصا لوجه الله او في مثل اخر: "يا سعدك يا فاعل الخير" فهذا المثل يدل على الاجر والثواب اللذان ينتظران فاعل الخير.

3-6- الوظيفة الترفهية: حيث أننا نجد العديد من الامثال التي صيغت في قالب فكاهي من أجل الترفيه لكن له مغزى معين: "واش جابك للواد يا زيتونة" أي عدم التدخل في الأمور التي لا تخص الفرد لان جزاء ذلك سيكون الندم.

4-6- الوظيفة التواصلية: المثل الشعبي تعبير لغوي له وظيفة تواصلية حيث يساهم في نقل الأفكار والمقاصد بين الأشخاص، فالمثل يسمح بوصول المعنى الى المتلقي بطريقة واضحة ومفهومة.

5-6- الوظيفة النفسية والاجتماعية: "يعمل المثل الشعبي على مد الافراد بقدر كبير من الراحة النفسية، حيث يعمل على تخليصهم من الضوابط التي يفرضها المجتمع على أعضائه، وفض الخلافات بين الناس كما أنه يتيح الفرصة لفهم الحديث عن الأنماط السلوكية التي يحضر عليهم الخوض فيها، كما أنه يعكس نظرتهم الى بعض الأشخاص أو المواقف، ومن ثمة يحقق قدرا كبيرا من الراحة النفسية للأعضاء، كما تبدو الوظيفة النفسية الاجتماعية للمثل في أنه يعكس محاولة الهروب الخيالي من قيود بيئته المحدودة ومن مجتمعه الذي يعيش فيه، ومن كبت الواقع عليهم والناجم في أغلب الأحيان عن عدم التكافؤ الاقتصادي والاجتماعي ومثال على ذلك: "الصبر مفتاح الفرج" توفر قدرا كبيرا من الراحة النفسية للفرد"⁴⁰.

7- أهمية الامثال الشعبية: "للأمثال أهمية كبرى في حياة الشعوب، فهي في مقدمة كنوزها الفكرية، تجلب الاهتمام وتوضح المقصود، وتثير الخيال، وتعين على الفهم، فتتمتع النفس والفكر والمشاعر وتعكس عادات أصحابها وسلوكهم واخلاقهم وتقاليدهم بقلة لفضها وكثرة معانيها التي تعبر عما تكنه الشعوب في اعماقها"⁴¹. يبرز دور وأهمية الامثال الشعبية في كونها مرآة عاكسة لثقافة الشعوب وخالصة تجاربها، سريعة النفاذ للفكر والعقل لصياغتها في جمل قصيرة، كما ان الامثال من أهم المأثورات الشعبية على مر العصور توارثتها الأجيال وتداولتها في خطابها اليومي بتعدد ضروب ومواقف تداولها وهنا يبرز دور المثل في كونه يبرز الهوية الثقافية والاجتماعية للشعوب.

8- العنف الرمزي ضد المرأة في الامثال الشعبية الجزائري: "توقفت الامثال عند

المرأة في اطوارها العمرية المتنوعة منذ ولادتها مروراً بصباها وزواجها، وصولاً الى حملها وانجابها ثم امومتها وكهولتها، وفي كل هذه المراحل تعكس الامثال ظلاً او صورة من موقف الانسان آنذاك من المرأة ونظرتها اليها كما تلمح الى طبيعة المكانة التي احتلتها، واتصال كل ذلك بتكوين الانسان النفسي والمعرفي والاجتماعي، وما يتصل بعقله الجمعي، فضلاً عن تركيبة ذلك المجتمع وبنيته الكلية"⁴². لقد استطاعت الامثال الشعبية ان تعكس الصورة النمطية للمرأة بإيجابياتها وسلبياتها لما لها من أثر في الثقافة الخاصة بالمجتمع وانعكاس للثقافة السائدة فيه، فهذه النظرة النمطية استمرت في الذاكرة الجمعية للمجتمع الجزائري خاصة ان المرأة نصف المجتمع وركيزته الأساسية في البناء الاجتماعي "لا تخلو الامثال الشعبية من حضور المرأة التي هي محور الحياة الاجتماعية داخل البيت وخارجه بل بالعكس امتاز حضورها بالتنوع والاختلاف والتضارب أحياناً، اذ نجد صور عديدة لها تعكس الملامح المختلفة والسلوكيات اليومية التي تسلكها سواء كابنة او كأم او كزوجة أو كحماة... الخ"⁴³

وان كان مضمون المثل في القليل من المرات يوجي بمعاني ودلالات إيجابية ويعزز من مكانتها، الا انه بالمقابل حمل في طياته الكثير من الدلالات والرموز اللفظية العنيفة التي ترسخ من دونيتها كما اننا نجد خطاب الامثال الشعبية ذكوري بالدرجة الأولى يعلي من مكانة الرجل "فالمرأة لا تتمتع بحقوقها المشروعة كافة عند مقارنتها بالرجل، لان الحضارة والثقافة الشعبية حددت الحقوق والواجبات لكلا الجنسين وفقاً للقيم والعادات والاعراف الاجتماعية والرأي العام فكثيراً ما انحاز الى جانب الذكر وظلم الانثى، فإذا اخترق أي منهما أو تجاوز عن الحدود الممنوحة والمسومة اجتماعياً، لا بد ان تستطال وتعاقب على فعلتها المتجاوزة، والعقوبة ليست مرئية ولا مكتوبة بل موجودة ومخفية ضمن الحضارة المعنوية، والموروث من السلف جيلاً بعد جيل"⁴⁴

"ان الاعتقاد بتبعية المرأة للرجل هو تصور راسخ في المخيال الاجتماعي المطبوع بفكرة تفوق الذكر هذا الأخير الذي يتحكم في مصير المرأة في دراستها في زواجها في خروجها... الخ، فالنظام البطريكي العائلي هو أساس لسيطرة مزدوجة سيطرة الاب على افراد العائلة وسيطرة الرجل على المرأة"⁴⁵ وصور العنف متعددة لا يمكن حصرها أو رصدها مرة واحدة فهي متجذرة في المجتمع وسلوك العنف بحد ذاته يتم تعلمه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي يكتسب من خلالها الفرد الاتجاهات الاجتماعية والنفسية" فثقافة المجتمع السائدة هي التي تمجد سلطة الذكر حيث أن طرق تربية الأطفال، في بعض المجتمعات كما هو في مجتمعنا

تنشئ الانثى على انها تخضع للذكر وتفسح المجال للعنف خاصة عنف الرجال ضد النساء لأنهن اضعف"⁴⁶ بهذا يتكون رصيد ثقافي واجتماعي في الازهان حول طبيعة وشرعية العنف ضد المرأة.

فالدلالات الرمزية واللفظية للعنف ضد المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية كثيرة يستحيل حصرها في مقامنا هذا وذلك لغنى المعتقدات الشعبية ولتنوع ضروب المثل على مر العصور ولعل أهم ما رصدناه في الامثال الشعبية التي تعتبر كخلفية للعنف الرمزي ضد المرأة ما يلي:

المرأة والزواج: في الكثير من المواقف يتحدد مصير الفتاة بزواجها على اعتبار ان الزواج هو العلاقة الاجتماعية الوحيدة التي تضمن سترها واستمرارها فيقال "زوج احناش في غار ولازواج بنات في الدار" فالصورة النمطية السلبية للبنات العانس أو العزباء واضحة في هذا المثل حيث فضلت الثعابين برغم أنها تسبب الهلاك على بقاء البنت في البيت دون زواج باعتبار انها عار. ويقال في مثل اخر: "العاتق فالدار عار" و " اخطب لبنتك وما تخطبش لابنك" يقال لتأكيد على ضرورة الزواج بالنسبة للمرأة وحتى في حالات تأخر الزواج لم تسلم من النظرة السلبية فيقال "اذا بارت على سعدها دارت" فإذا تأخر زواج المرأة وتقدمت في السن ولم تندع في الزواج تحقر المرأة وينظر اليها نظرة ازدراء وتهكم.

المرأة والزواج: تصور الامثال الشعبية المرأة على انها قاصر ومكانتها لا تتحدد الا بالزواج من الرجل لذلك وجب على المرأة ان تكون كاملة في نظر زوجها وأهل زوجها لان سعادة العائلة أو تعاسها مرتبطين بها "الخير امرأة والشر امرأة" ويقال "المرأة خشبة والسعد نجارها" حتأنه في مجال اتخاذ القرارات في العائلة لا يعتد برأيها "شاور المرأة وخالف رأيها" وفي الغالب في علاقة الزواج ينظر الى المرأة على أساس صفاتها الجسدية وما تتمتع به من جمال ويقال في هاته المواضع "خوذ امرأة ونص اذا غاب النص تبصا المرأة" فالمثل يدعو الى اختيار الزوجة صاحبة الجسم القوي باعتبار لها القدرة على تحمل متاعب وشدائد الحياة وهذا ما يؤثر سلبا على صورة المرأة النحيفة والقصيرة باعتبارها غير مؤهلة للزواج.

وكثيرا ما تقدم الامثال الشعبية دلالات ورموز عنيفة في معاملة الرجل للمرأة" ما تأخذ رأي المرأة ما تبع الحمار من وراء" وهذا المثل فيه نوع من التحقير للمرأة وتشبيهها بالحمار فالخطأ وارد اذا اخذ الرجل برأي المرأة وهناك من الامثال ما يشجع على العنف الجسدي "اضرب مراتك ديما، اذا انت ما تعرفشعلاش، هي تعرف علاش"، "المرأة كالسجادة ما تنظف غير بالخبيط" وهناك أمثال تشبه المرأة بالمركب الذي يستحسن تبديله

ليحصل الرجل على الراحة "تبدال السروج راحة" و "اضرب المرأة بالمرأة يا ولد المرأة" والعقم عيب يؤدي الى طلاقها في المجتمعات التقليدية فالناس يعيرونها بالعنوسة اذا لم تتزوج واذا تزوجت ولم تلد يعيرونها بالعقم "اتزوجي لا يقولو بايرة اولدي لا يقولو عاقرة". "المرأة بلا ولاد كي الخيمة بلا اوتاد" وفي حالة فشل العلاقة الزوجية اما بالطلاق أو وفاة الزوج تنعت المرأة بأسوأ النعوت "الهجالة لحمها مسوس" والهجالة بالعامية ليست موضع ثقة وتعرف كل شيء عن الرجال لذلك وجب مراقبتها والحذر منها "الي تعرفو العازبة ما تعرفوشالهجالة".

وفيما يخص علاقاتها مع محيطها وأهل زوجها (علاقة الكنة بالحماة، المرأة وضرتها، والجاره) فالعلاقة في الغالب سيئة وتصور المرأة على أنها انانية تحب دائما التملك يشوبها الحسد والحقد الدفين خصوصا علاقتها بأم زوجها "تعصي الولادة في جال الوسادة" باعتبار ان ما توفره المرأة للزوج من لذة ومتعة جنسية تجعله ينسى أمه وهذا الصراع في الامثال الشعبية دائم بينهما ويستحيل ان يتفقا "اذا تفاهمت العجوز والكنة يدخل بليس للجنة" ويقال في مواقف أخرى "الضرة مرة" السلفة حسيمة" الضرايريموتو متعانقات والسلايفيموتو متشابكات" فالمرأة بدلالات ورموز الامثال الشعبية تعتبر سبب المشاكل والخلافات الاسرية وأحد أهم أسباب تأزم العلاقات والخير معدوم منهن.

وكثرة النساء في البيت لا يجلب الا المصائب والخسائر المادية وهذا ما رصد في الامثال الشعبية "الي عينو في البلاء يكثر النساء والكلاب" و " كل بلية سبابها ولية " وقولهم " الي يحب الهراج يكثر النساء والجاج" وتذكر الامثال أمورا أخرى جراء كثرة النساء في البيت "أربع نساء والقرية يابسة".

كثيرا ما تشير الامثال الشعبية الى غدر المرأة وعدم وفائها ورسخت من اعتبارها منبع الشر وسبب العدا "أربعة يا انسان ما فيهم امان: "المرأة والسلطان، البحر والزمان"، إذا حلفو فيك النساء بات قاعد، واذا حلفو فيك الرجال بات راقد"، "هي في لعراس وراجلها في لحباس"، " خلات راجلها ممدود وراحت تعزي في محمود" حتى في مجال التعامل مع النساء حذر من ذلك "معرفة الرجالكنوز، ومعرفة النساء نجاسة" اكثر من وصف المرأة بالكييد والنفاق هو عبد الرحمان المجذوب " سوق النساء سوق مطيار يا داخلورد بالك يوروك من الريح قنطار ويدولك راس مالك"، " بهت النساء باهتين من بهتهم جيت هارب يتحزمو باللفاع ويتخللو بالعقارب". وهاته النظرة التي تدعو الى الحذر من المرأة لها جذور متأصلة في التاريخ فالحضارة الهندية اعتبرت الافاعي وسمها افضل من النساء تحوي الامثال

الشعبية دلالات ورموز سلبية تقلل من شأن المرأة وتحتقر شخصها(هجالة، بايرة، نجاسة، افعى، عاقر، بلية، عقرب،...الخ) وهذه الالفاظ رسخت في عقول الناس دونية المرأة بما جمعته من صفات سلبية وكست لهيمنة الرجل عليها واعلت من شأنه. وفيما ذكرنا من أمثال يتضح لنا بان المرأة جنس أدنى من الرجل على اعتبار ان الرجل لا يعاب "الراجل عيبوجيبو" ولعله من الطبيعي ان يصبح ذلك المفهوم راسخا في ذهن المرأة حيث تتعلم الانثى منذ صغرها انها كائن أدنى من الرجل وأضعف منه ويصبح من الطبيعي أيضا ان يرسخ في اذهان الذكور انهم كائنات متفوقة على الاناث"⁴⁷

فالمرأة ساهمت بدورها في ترسيخ مثل هاته النماذج التربوية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية "لقد ساهمت المرأة في صنع مثل هذه النماذج وهي في الوقت عينه المسؤولة عن نقل هذا التراث وإعادة انتاجه من خلال الأنماط التربوية المستعملة في عملية تنشئة الأطفال وفي الواقع ليست الام فقط التي تقوم بهذا الإنتاج بل جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية بما فيها وسائل الاعلام الجماهيرية التي تعمل على اظهار المرأة في صورة معينة، لتبعدها عن جانب العمل الخلاق والمبدع"⁴⁸

خاتمة:

تعتبر الامثال الشعبية موروث حضاري يساهم في تشكيل أنماط واتجاهات المجتمع الا انه وجب علينا الحرص من حيث استعمالها بما تتضمنه من دلالات ورموز تستحق شخص المرأة ولا تعترف بوجودها الا إذا استمدته من رجل وتعمل على ترسيخ دونيتها بتعابير قاسية. ان ما تزخر به الامثال الشعبية لا يمكننا اعتباره شيء مقدس لا يجوز المساس به قد تصيب أحيانا وتخطأ مرات أخرى، فالإسلام أعلى من شأن المرأة ومكانتها واعتبرها شريكة الرجل الا بما فضل الله بينهما.

الهوامش:

- 1-نجلاء عادل حامد ذنون، العنف ضد المرأة في الامثال الشعبية الموصلية وأثره في تنمية المجتمع، مجلة أبحاث ميسان، العدد12، 2016، ص296.
- جمال معتوق،مدخل الى علم الاجتماع الجنائي،الجزائر، دار بن مرابط للنشر والتوزيع، 2008، ص 2.304
- فوزي احمد الدريدي،العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2008، ص 3.33
- الياس زحلاوي،المجتمع والعنف،منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1985، ص 154-155.
- جمال معتوق،مدخل الى سوسيولوجيا العنف، الجزائر، دار بن مرابط للنشر والطباعة، 2008،ص5.25
- احمد زكي بدوي،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 2006، ص 42. 6
- ابن منظور،لسان العرب،دار صادر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1956، ص7.903
- انثوني غيدنز،علم الاجتماع،ترجمة فاييز الصياغ، مؤسسة ترجمان للوحدة العربية، ط4، لبنان، 2005، ص8.76
- بيار بورديو،العنف الرمزي،ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، دون سنة نشر، دط، ص 18. 9
- 10- رجاء مكي، سامي عجم،إشكالية العنف "العنف المشروع والعنف المدان"،مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1، 2008، ص93.
- منير كرادشة،العنف الاسري سوسيولوجية الرجل المعنف والمرأة المعنفة،عالم الكتب الحديث،الأردن،2009،ص11.37
- شريف كناعنة،دراسات في الثقافة والتراث والهوية، فلسطين، المؤسسة الفلسطينية للدراسة الديمقراطية، 2011،ص12.35
- عمر قبايلي،مدخل للثقافة الشعبية العربية،مجلة الآداب واللغات،ورقلة، العدد السابع، 2008، ص13.173
- محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991، ص ص 49-14.50
- سامية حسن سعاتي، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية،بيروت،1983، ص 15.35
- 1-محمد السويدي،مرجع سابق، ص 51-71.
- حسين فهمي، الانثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الانسان، علم المعرفة، الكويت، ط1، 2001، ص 17.21
- محمد السويدي، مرجع سابق، ص71-18.81
- ابن منظور،لسان العرب،دار الفكر،بيروت،لبنان،ج11، 1986،ص19.610
- 1-احمد امين،فجر الإسلام يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام الى اخر الدولة الاموية،دار العربي،بيروت،لبنان، ط1، 1969،ص60.
- 21 - لخضر حليتم،صورالمرأة في الامثال الشعبية الجزائرية، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009 - 2010، ص 5.
- سورة البقرة، الآية 22.17
- سورة الزخرف، الآية 23.56
- سورة الحشر، الآية 24.21
- سورة الرعد، الآية 25. 35
- سورة الفتح، الآية 26.29
- كعب بن زهير،ديوان كعب بن زهير، تحقيق د-درويش الجودي،ط1،لبنان، صيدا، بيروت،2008، ص 125. 27
- عبد المجيد قطماش،الامثال العربية، دراسة تاريخية تحليلية، ط1،دار الفكر، سوريا، 1988، ص 28.12
- 29 - إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي،ديوان الادب،مجمع اللغة العربية،مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، 1947،ص74.
- الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري، مجمع الامثال،ط2،منشورات دار مكتبة الحياة،ج1، ص 13-30.14

- حارث علي العبيدي،دراسات سوسيوأنثروبولوجية،دار غيدا للنشر والتوزيع،عمان، 2011، ص 31.337
- 32 -راضية عداد،الادب الشعبي في منطقة أم البواقي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص 48.
- 33 - نجلاء عادل حامد دنون،العنف ضد المرأة في الامثال الشعبية الموصولة وأثره في تنمية المجتمع،مجلة أبحاث ميسان، العدد2016،23 ص286.
- رابح العوي،أنواع النثر الشعبي الجزائري، منشورات جامعة باجي مختار،عنابة،دت،ص39-34.41
- نبيلة إبراهيم،اشكال التعبير في الادب الشعبي، دار النهضة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ص 35.175
- كمال خلايلي، معجم كنوز الامثال والحكم العربية (النثرية والشعرية)،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،لبنان، ط1، 1998،ص.2،36
- خديجة لبهيي، مظاهر التخلف التربوي في الخطاب الشعبي، دراسة على مجتمع واد سوف، مطبعة سخري،2012، ص 37.96
- جمانة طه، موسوعة الامثال الشعبية العربية، الدار الوطنية، السعودية، ط1، 1999، ص 38.604
- سورة الزمر، الآية 39.10
- 40- فاروق احمد مصطفى،مرفت العشماوي عثمان، دراسات التراث الشعبي،دار المعارف الجامعية للطبع والنشر والتوزيع،الإسكندرية،ط2008،1، ص176-177.
- رابح العوي، مرجع سابق، ص41.50
- 42 - اماني سليمان داود،الامثال العربية القديمة،دراسة اسلوبية سردية حضارية،دار الفارس للنشر والتوزيع،الأردن،عمان، ط1، 2009،ص293.
- 43- سميرة مناد، الزعامة النسوية في المخيالاجتماعي، دراسة ميدانية لتصور الزامة لدى عينة من النساء في الجزائر، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2016، ص 198.
- نجلاء عادل حامد دنون، مرجع سابق، ص 44.287
- سمسرة مناد، مرجع سابق، ص 45.19
- نجلاء عادل حامد دنون، مرجع سابق، ص46.287
- نجلاء عادل حامد دنون، مرجع سابق، ص 47.288
- سميرة مناد، مرجع سابق، ص 48.171